الفصل التاسع

الانتخابات الأمريكية وقضية السلام في «الشرق الأوسط»

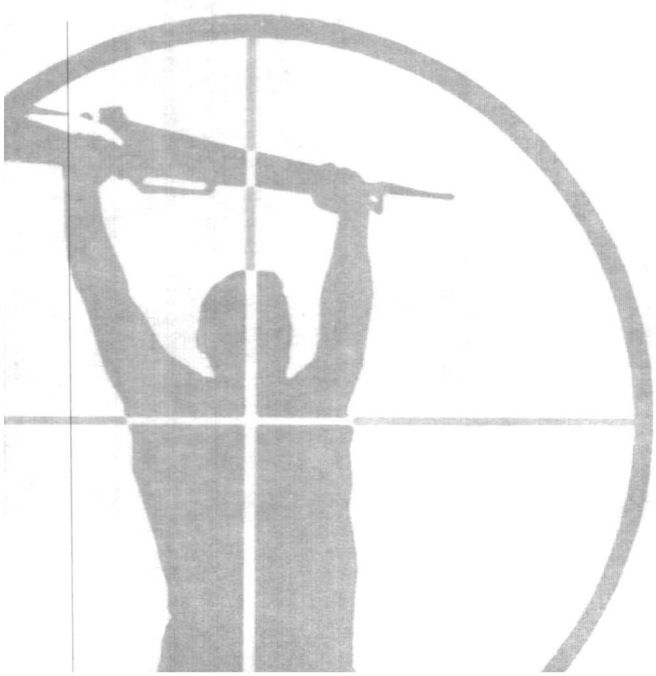

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

الحضور العربى فى الانتخابات الأمريكية (*)

والعالم كله يترقب نتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، لما لها من تأثير بالغ الأهمية على مسار العالم خلال السنوات الأربع القادمة (١٩٩٣ ـ ١٩٩٧م)، أصبح من الواضح أن معركة هذه الانتخابات قد حسمتها أولوية العوامل الداخلية عن العوامل الخارجية. ولذلك فإن كل مرشح استطاع أن يجيد التعامل مع أوتار الشعب الأمريكى بطرحه برنامج سياسته الداخلية يتفق والمزاج العام لهذا الشعب، وفى هذه اللحظة التاريخية ـ هو الذى سيكسب نتيجة المعركة. فى الوقت نفسه لم تشكل السياسة الخارجية وجودًا حقيقيًا فى معركة الانتخابات الحالية، والتى لم يعد يتبقى عليها سوى عدة أيام ـ حتى كتابة هذا المقال ـ إلى الحد الذى يتردد بين أوساط المحللين والمراقبين السياسيين بأن رؤى كل من الرئيسين المرشحين (بوش وكلينتون) إزاء القضايا الدولية تكون متقاربة، إن لم تكن شبه متطابقة. وعندما طرحت قضية الصراع العربى الإسرائيلى ـ على سبيل المثال ـ بين المرشحين سعيًا لكسب الصوت اليهودى أساسًا، لاحظنا بعض المزايدة بين بوش وكلينتون، حيث أعلن الأول على الموافقة على ضمان قروض عشرة مليارات ترضية لإسرائيل، ووافق الثانى على الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وإمكانية نقل السفارة الأمريكية إليها فيما بعد، بالإضافة إلى مطالبته للعرب بأن يقدموا تنازلات لإسرائيل لاستمرار عملية السلام. وعلى العكس من ذلك، فقد وافق الطرفان على صفقة الأسلحة للسعودية فى إطار المصلحة الاقتصادية الأمريكية، واعتبار السعودية ومصر حليفتين فى منطقة الشرق الأوسط.

وأيًا كانت الأمثلة التى تدلل على صحة ما نقول، وهى كثيرة، إلا أن التساؤل الذى

(*) نشرت بجريدة صوت الكويت بتاريخ ١ / ١١ / ١٩٩٣م.

يطرح نفسه مع قرب انتهاء معركة الانتخابات الأمريكية هو : أين الحضور العربى سواء أكان مباشراً أم غير مباشر فى هذه الانتخابات الرئاسية؟

ونستهدف من وراء طرح هذا التساؤل، والوقوف على مدى هذا الحضور العربى فى هذه المعركة بالذات، هل كان الصوت العربى مسموعًا؟ وإمكانية تطوير هذا الوجود العربى فيما بعد؟ والذى لا شك فيه، ومن أول وهلة، أن الحضور العربى المباشر فى هذه المعركة، بمعنى الاتصال المباشر من جانب الزعماء العرب أو ممثليهم من وزراء الخارجية أو غيرهم بالمرشحين الأمريكيين الثلاثة (بوش وكلينتون وبيرو) لم يكن مطروحًا.

ولكن لوحظ فى الوقت نفسه حضور عربى وإلى مدى معين من جانب الجاليات العربية المختلفة المنتشرة فى أرجاء الولايات المتحدة، وهو ما نراه حضوراً غير مباشر، وذلك بالمقارنة برئيس الوزراء الإسرائيلى (رابين) وبعض ممثليه من الوزراء وغيرهم، الذين حرصوا على الذهاب للولايات المتحدة ومقابلة المرشحين للرئاسة، وإجراء الحوار معهم وأخذ بعض التعهدات والالتزامات إزاء أمان إسرائيل وأمنها.

الحقيقة المؤلمة هى أن الوجود العربى فى الولايات المتحدة من حيث الكثافة السكانية قد اقترب من خمسة ملايين نسمة، وهو ما يقترب طبقًا للمعلومات المتاحة لدينا، من كثافة الوجود اليهودى فيها. ولكن الفرق بين الطرفين هو فرق فى التأثير والنفوذ الناجمين عن التغلغل فى المجتمع الأمريكى، وفهم آليات الديمقراطية فى هذا المجتمع، وإجادة التعامل معها سعيًا نحو ضمان المصالح العربية عامة لدى كل من الحزبين الجمهورى والديمقراطى من جانب، ومن جانب آخر: محاولة تقييد المرشحين للرئاسة فى تصريحاتهم المؤيدة لإسرائيل على طول الخط والتى قد تستخدم فى إطار المزايدات الانتخابية سعيًا لكسب الصوت اليهودى.

والسؤال هنا: متى يمكن للجاليات العربية أن تمارس نفس الدور اليهودى وتتجاوزه، فى إجبار المرشحين الأمريكيين على أخذ ثقل الجاليات العربية فى الحسبان، خصوصًا أن المجتمع الأمريكى قائم على فكرة الأقليات وجماعات الضغط، التى تلعب كل منها دوراً تأثيريًا فى مسارات السياسة الخارجية الأمريكية بما يتفق والقدرة على التأثير. ومن ثم فإن النجاح الحقيقى للجاليات العربية يكمن فى إمكان

تشكيل جماعة أو جماعات ضغط عربية من داخل الولايات المتحدة تضارع - إن لم تكن تفوق - اللوبى اليهودى أو الصهيونى، فى ظل متغيرات العصر الذى نعيشه، خصوصا مع اختفاء الاتحاد السوفييتى ككيان قوة عظمى منافسة للولايات المتحدة، انحسرت معه الأهمية الاستراتيجية بعض الشىء طبقًا لما تشير إليه أغلب مراكز الدراسات الاستراتيجية الأمريكية.

وبالنظر إلى حجم وطبيعة الحضور العربى غير المباشر فى المعركة الانتخابية على الرئاسة الأمريكية، نلاحظ أن هذا الحضور تمثل فى تحرك الجاليات العربية داخل الولايات المتحدة، وإجراء الاتصالات مع المرشحين، وإرسال دعوات لمناقشتهم فى القضايا التى تهم العرب، وعقد المؤتمرات الصحفية للتعبير عن وجهة النظر العربية، والمشاركة بكتابة المقالات فى الصحف الكبرى للإدلاء بالرأى العربى فى معركة الانتخابات... إلخ.

وقد أمكن رصد توجهين رئيسيين للجاليات العربية داخل الولايات المتحدة خلال المعركة الانتخابية: **الأول**: يضم كلاً من المعهد العربى الأمريكى والذى يديره جيمس زغبى، وأيضًا اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز، ويرأسها / ألبرت مخيبر، وهما معًا ديمقراطيان ولهما اتصال مباشر بل وعضوية بالحزب الديمقراطى، ومن ثم يشاركون فى تأييد الديمقراطيين ومرشحهم كلينتون للرئاسة. **أما التوجه الثانى**: فهو يضم كلاً من اللجنة الوطنية للعرب الأمريكيين، ويرأسها جورج سالم، وقد شكلت لجنة العرب الأمريكيين لإعادة انتخابات بوش وكويل / ١٩٩٢م، وكذلك مجلس العرب الأمريكيين الجمهوريين لمنطقة واشنطن ورئيسه د. جميل شامى. والتوجه الثانى يشير إلى تأييد الجمهوريين ومرشحهم جورج بوش، باعتبار أنه يساند العرب، وسعيًا نحو تأييد واستمرارية عملية السلام بين العرب وإسرائيل، وإنه قال لإسرائيل لا، فإن المصلحة العربية تقتضى المساهمة فى إعادة ترشيحه مرة أخرى. ويستندون فى دعواهم بتأييد المرشح الجمهورى إلى أن ٩٠٪ من اليهود الأمريكيين أعضاء بالحزب الديمقراطى. أما التوجه الأول، فيشير إلى، وعلى حد قول الممثل الرئيسى لهذا التوجه وهو / جيمس زغبى: أن كلينتون يشدد على قبوله بقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ويتفق مع بوش فى موضوع الاستيطان اليهودى فى الأراضى المحتلة، وفى الوقت نفسه يحبذ مبدأ الأرض مقابل السلام. ولذلك فإنه «بالقدر» الذى لا يرى بوش إلى جانب العرب كما يتصورون فإنه لا يرى كلينتون ضد العرب كما يعتقدونه.

كما أن زغبى يشير فى أحد تصريحاته الصحفية بالقول، إلى أن على العرب أن يعرفوا أن نصف اليهود الذين يريدون كلينتون ينتمون إلى منظمة الأمريكيين من أجل السلام الآن، وهؤلاء يتبنون موقفًا تجاه عملية السلام لا يختلف عن موقفنا. والنقاش بين هؤلاء وبين الآخرين داخل حملة كلينتون الانتخابية دائر حاليًا. . وكما أنه لا يوجد موقف محدد لليهود الأمريكيين تجاه الشرق الأوسط، فإن نصف اليهود الذين يحيطون بـ «كلينتون» حاليًا يؤمنون بإقامة دولة فلسطينية وإنهاء الاحتلال. وتأكيدًا لوجهة نظر هذا الاتجاه، فإن «مايكل ماندلبارم» - أحد مستشارى كلينتون المحابين لإسرائيل وبشكل استفزازى - تمت تعريته ورفض أفكاره عندما ذهب لمحاورة جماعة الأمريكيين من أجل السلام الآن. . فى يوليو ١٩٩٣م أثناء انعقاد المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى. بالإضافة إلى أن كلينتون أرسل إلى الفلسطينيين رسائل يؤكد فيها أن عددًا كبيرًا من القيادات التى عملت معه سيسند إليهم مناصب فى إدارة كلينتون للتعامل مع عملية السلام، ومن بينهم الرئيس السابق كارتر، الذى قد تعهد له بمهمة الإشراف على عملية السلام.

وفى الوقت الذى كانت الجهود تبذل فيه من جانب الجاليات العربية لتأييد كلينتون داخل الحزب الديمقراطى، فقد نجحت الصحافة اليهودية الأمريكية من أمثال «المجلة الأسبوعية إلى الأمام» بعد هجومها المستمر على الأمريكيين من أصل عربى فى الحزب الديمقراطى فى إزاحة النائبة الديمقراطية من ولاية أوهايو من أصل عربى - من منصبها كرئيس مشارك للجنة البيان الانتخابى للحزب فى آخر لحظة، ولم تعط الفرصة للتحدث خلال المؤتمر. وهذا يدل على مدى وحجم الصراع العربى اليهودى داخل الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه غالبية اليهود الأمريكيين.

وعلى أى حال، فإنه يلاحظ، إذن، حضورًا عربيًا فى هذه الانتخابات الأمريكية بصورة تكاد تكون أفضل من المعارك السابقة، ولكن المشوار ما زال طويلاً، ويحتاج إلى جهود كبيرة، وقدرة عالية على التغلغل داخل المجتمع الأمريكى، وتوافر القدرة على التعامل مع آليات النظام الأمريكى الديمقراطية، واستخدام السبل كافة لتكوين جماعات مؤيدة للحق العربى داخل كل المستويات الإعلامية والسياسية والحزبية، وداخل جماعات الضغط المختلفة من الجاليات الأخرى، وإجادة التعامل مع منطق الأقليات الذى يسود الولايات المتحدة. وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا برؤية عربية مباشرة

تستطيع أن توظف الجاليات العربية المنتشرة فى الولايات المتحدة بما يخدم قضايا العرب ومصالح أمنهم القومى. ولا نرى فى توزع الجاليات العربية بين الانتماء لأى من الحزبين الجمهورى والديمقراطى أى غضاضة، بل على العكس: يمكن فقط استثمار هذا الوضع فى ضوء فهم قواعد اللجنة والتعامل بوعى مع مبدإ توزيع الأدوار للجاليات العربية داخل النظام الأمريكى.

ولا يجب أن نتناسى أنه لا يزعجنا من ينجح فى الانتخابات الأمريكية، لكن الذى يزعجنا هو أن نتغافل عن حقيقة مؤداها بأن العرب هم وحدهم القادرون على التأثير فى مجريات عملية السلام، ولن يقدم لهم ما يشتهون، إلا بالقدر الذى يبذلون فيه من الجهد، والقدرة على توظيف قدراتهم الفعلية، وهى جد كثيرة وبلا حدود. وطالما أن السياسة لها أبعاد متعددة، وليس بعداً واحداً، لذلك، فلا خوف من المستقبل طالما أدركنا ذلك.

***

المبحث الثانى

السلام فى «الشرق الأوسط»

بين الجمهوريين والديمقراطيين(*)

يبدو أن إعصار «أندرو» الأخير (عام ١٩٩٢م) الذى عصف بولايتين ودمر ما دمر فيهما، جاء ليحدد الدائرة الكبرى فى التنافس الانتخابى بين بوش وكلينتون، على أنها الدائرة الداخلية. ومن ثم فإن الاهتمام بالشئون الخارجية للولايات المتحدة فى هذا الوقت لا يشكل مساحة كبيرة لدى الناخب الأمريكى، ولذا فإن احتمالات فوز الذى يهتم جدّا بالسياسة الخارجية على حساب السياسة الداخلية تتضاءل كل يوم، وهذا ما سبق لنا الحديث عنه.

ومع ذلك، فإن التنافس الحادث الآن بين الجمهوريين والديمقراطيين على «الشرق الأوسط» خصوصًا على مصلحة إسرائيل، هو تنافس فى الواقع على صوت الناخب اليهودى، وليس على صوت الناخب الأمريكى عمومًا.

ويهمنا فى هذا المقام أن نشير إلى أن آراء المرشحين للرئاسة إزاء الصراع العربى الإسرائيلى فى هذا الوقت ترتبط كثيرًا بالعملية الانتخابية، وهذا لا يجب أن يدعونا إلى التكاسل والتراخى، على أن نكون بلا وجود فى الانتخابات الأمريكية.

فالمعلومات التاريخية تشير إلى أن التأييد المطلق لإسرائيل كان من نصيب الجمهوريين، وبخاصة أنهم يحكمون أكثر. فمنذ الستينيات، لم يحكم الولايات المتحدة رئيسًا ديمقراطيًا سوى چون كنيدى الذى قتل بعد فترة قليلة من حكمه للفترة الأولى، وأكمل چونسون فترته، والرئيس كارتر (١٩٧٦ - ١٩٨٠م)، بينما حكم الجمهوريون الولايات المتحدة طوال هذه الفترة (حوالى ربع قرن).

(*) نشرت بجريدة صوت الكويت بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٩٢م.

والحديث عن الديمقراطيين الذين حكموا من قبل له دلالة، حيث أعلن «چون كنيدى» تأييده للقضية الفلسطينية، وأسهم «كارتر» فى إتمام أول اتفاق بين مصر وإسرائيل فيما يعرف باتفاقيتى كامب ديفيد والمعاهدة الإسرائيلية المصرية عامى ١٩٧٨ و١٩٧٩م، وذلك فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى. والمتابع لتصريحات الديمقراطيين خلال حملاتهم الانتخابية يجدهم قد أسرفوا فى التأييد والوعود للإسرائيليين بهدف كسب أصوات اليهود. ولو نظرنا إلى تصريحات «دوكاكيس» المرشح للرئاسة فى عام ١٩٨٨م فى مواجهة بوش الجمهورى، نجده قد أسرف كثيراً فى وعوده لإسرائيل، ومنها اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل.

ووسط المعركة الحالية «بين بوش وكلينتون»، نجد الرئيس بوش يعلن من خلال برنامج حزبه الجمهورى: ضرورة توفير المساعدات الأمنية على نطاق واسع لإسرائيل، ومعارضة قيام دولة فلسطينية أو كيان فلسطينى جديد يهدد أمن إسرائيل، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى الوقت الذى يتحقق فيه أمن إسرائيل، والتركيز على أهمية استمرار دعم عملية السلام بالشرق الأوسط. فى الوقت نفسه يبذل فيه الرئيس بوش كل جهده فى سبيل إنجاز شىء ملموس بين العرب وإسرائيل لدعم موقفه الانتخابى، باعتبار أنه إنجاز فى السياسة الداخلية. ولهذا، فقد وافق على منح ضمان القروض لإسرائيل والبالغة عشرة مليارات، وذلك لكسب الصوت اليهودى داخل الولايات المتحدة.

وهو بهذا يحاول أن يقدم سلوكًا للجمهوريين فى تحقيق إنجاز على طريق إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى، يمكن أن يفاخر به تاريخيًا ليقضى على الإنجاز التاريخى السابق للديمقراطيين إبان فترة حكم الرئيس كارتر.

أما كلينتون الديمقراطى، فهو يسرف فى تأييد إسرائيل، وذلك باعترافه بأن القدس عاصمة إسرائيل، وأنه يؤيد إسرائيل بوصفها حليفة الولايات المتحدة الوحيدة فى الشرق الأوسط، ويطالب بإنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل، كما يطالب العرب بتقديم تنازلات لإسرائيل فى محادثات السلام الجارية الآن حفاظًا على أمنها. ومما أشار إليه خلال الأيام الأخيرة أن أمريكا باعت كميات ضخمة جدًا من الأسلحة للدول العربية، وأن ذلك يهدد أمن إسرائيل «التى يجب أن تظل أقوى دولة فى المنطقة كمًا وكيفًا»،

ووصف إسرائيل بأنها رمز الحرية وواحة التحرر ومأوى المهاجرين، و«أن المقاطعة العربية غير مشروعة وغير قانونية وهى حرب اقتصادية ولا بد أن تنتهى، ولذلك فإن إنهاء هذه المقاطعة شرط لحصول السعودية على صفقة الطائرات التى تعاقدت على شرائها من الولايات المتحدة». ولمحاولة إثبات تناقض كلينتون إزاء إسرائيل، ذكر ذلك الاتهام الأخير الذى وجهته زوجة نائب الرئيس الأمريكى الحالى «دان كويل» إلى زوجة كلينتون بأنها سبق لها تمويل الفلسطينيين خلال رئاستها لمؤسسة العالم الجديد فى الفترة ما بين عامى ١٩٨٧ و١٩٨٨م. وفى الوقت الذى حققت فيه إسرائيل بعد فوز إسحاق رابين برئاسة الوزراء، بعض الإنجازات بحصولها على موافقة بوش على ضمان القروض ذات عشرة المليارات مقابل السعى نحو الإسراع بإنجاز اتفاق ما مع العرب قبل الانتخابات الأمريكية، وتم ذلك بعد زيارة بيكر لإسرائيل، ثم زيارة رابين للولايات المتحدة ومقابلة الرئيس بوش، فى الوقت نفسه الذى سعى رابين لمقابلة كلينتون المرشح المنافس لبوش على الرئاسة، وذلك سعيًا نحو كسب وده والحفاظ على تصريحاته وتأييده لإسرائيل فيما لو فاز فى الانتخابات القادمة. أى أن إسرائيل تسعى للكسب والحفاظ على مصالحها من خلال الاتصال بجمع الأطراف المتنافسة فى الانتخابات الأمريكية دون قيد على حركتها أو حساسية ما كما هو معهود لدينا نحن العرب.

ومن ثم يتضح أن الديمقراطيين وإن أسرفوا فى وعودهم المؤيدة لإسرائيل، إلا أن الثابت تاريخيًا تأييدها للدولة الفلسطينية فى عهد كنيدى بعد توليه الرئاسة، وتحقيق أول اتفاق مصرى إسرائيلى فى عهد كارتر.

ولذلك فلا يمكن التحرك على أساس أن كلينتون إذا فاز فى الانتخابات المقبلة سيكون مع إسرائيل وضد العرب طبقًا لتصريحاته، وإنما ستحكم سلوكياته ومواقفه فيما بعد متغيرات كثيرة، ومن أهمها أن يكون هناك موقف عربى قوى فى مواجهته، ثم الظروف الإقليمية والدولية، كما أنه فى الوقت الذى يتضح فيه أن الجمهوريين يسعون إلى إنجاز اتفاق تاريخى بين العرب وإسرائيل أو بين الفلسطينيين وإسرائيل على عكس مواقفهم التاريخية المدعمة لإسرائيل منذ الستينيات فإن الرغبة فى هذا الإنجاز تأتى فى إطار دعم موقف الرئيس بوش فى الانتخابات المقبلة.

وهكذا، يتضح أن الموقف بين إسرائيل واليهود عمومًا ـ من جانب كل من المرشحين للرئاسة الأمريكية ـ يأتى فى إطار السعى نحو كسب أصوات اليهود الأمريكيين، وليس بالضرورة عداء للعرب. وهو ما لا يجب أن يزعجنا كثيرًا. وهذا ما يقودنا إلى ضرورة لفت أنظار العرب إلى سرعة الحركة خلال الأيام القادمة داخل الولايات المتحدة، وذلك من خلال الاتصال بالديمقراطيين، والحوار مع كلينتون لإشعاره بالوجود العربى عند اتخاذ قراراته بشأن إسرائيل والعرب. ومن ثم فإن جعل الساحة خالية دائمًا أمام إسرائيل داخل الولايات المتحدة ليس فى صالح العرب، والأمل أن يتحقق يومًا ما أن تكون التصريحات الصادرة من المتنافس على الرئاسة الأمريكية متوازنة بين العرب وإسرائيل فحسب.

***

المبحث الثالث

السلوك السياسى لإدارة كلينتون

إزاء السلام والقضايا العربية (*)

من الثوابت فى تحليل الانتخابات الأمريكية، واتجاهات الناخب الأمريكى تجاه المتنافسين على مقعد الرئاسة فى البيت الأبيض، أن السياسة الخارجية لا تمثل قضية قابلة للجدل والعراك، إلا إذا تداخلت فى إحدى جزئياتها مع القضايا الداخلية التى تمثل بؤرة اهتمامات الرأى العام الأمريكى بصفة رئيسية. ولذلك مفاده لا يرهق المرشحون أنفسهم فى ضرورة بذل الجهد لتحديد رؤاهم فى كل القضايا الخارجية على العكس من القضايا الداخلية. وإذا كانت هذه المقولة قد تصاعدت درجة صوابها منذ تفكك الاتحاد السوفييتى فى نهاية ١٩٩١م، و انعكس هذا على أول انتخابات أجريت فى الولايات بعد هذا الحدث، وذلك فى نوفمبر ١٩٩٢م، واستطاع المرشح الشاب كلينتون أن ينجح آنذاك ببرنامج عمل داخلى فى مواجهة بوش صاحب الانتصارات الضخمة فى السياسة الخارجية، إلا أن ذلك قد تأكد أيضًا فى انتخابات عام ١٩٩٦م، حيث تأصلت مقولة سيادة القضايا الداخلية وهيمنتها على القضايا الخارجية. وقد كانت الإنجازات الاقتصادية فى المجال الداخلى والتى استطاع كلينتون أن يحرزها خلال السنوات الأربع الماضية وأحرزها خفض عجز الموازنة، وتوفير حوالى (١٠) ملايين فرصة عمل جديدة لمواجهة شبح البطالة.. إلخ، وبرغم محدودية هذه المنجزات، إلا أنها كانت الوسيلة لتمسك الشعب الأمريكى بوصفه القادر على المزيد من هذه الإنجازات فى السياسة الداخلية. وعلى هذا النحو فإن الوضع الخارجى يتيح للرئيس الأمريكى مجالاً أكبر للحركة، وحرية أكبر فى العمل، وذلك بشرط أن ينجز فيه إنجازًا يستطيع أن يفاخر به من جانب، ومن جانب آخر لا يتعارض مع أى إنجازات داخلية، ومن جانب ثالث لا يؤدى إلى فقدان ضحايا أمريكيين فى الخارج لعدم تأليب

(*) نشرت فى مجلة السياسة الدولية، عدد يناير ١٩٩٧م، والملف الاستراتيجى بتاريخ فى ديسمبر ١٩٩٦م.

الرأى العام على الرئيس. وهذه هى حدود سقف الحركة فى المجال الخارجى للرئيس الأمريكى بصفة عامة.

وفى معركة ١٩٩٦م، حاول المرشح الجمهورى روبرت دول، أن يبرز أهمية السياسة الخارجية فى المعركة الانتخابية، بأن وجه للرئيس كلينتون انتقادات عنيفة خلال الأشهر الستة السابقة على الانتخابات. حيث بدأها بخطاب فى ٩ مايو نشرته صحيفة واشنطن بوست، اتهم فيه إدارة كلينتون بالفشل فى سياسته الخارجية تجاه آسيا والصين خصوصًا دون بقية مناطق العالم. وفى خطاب آخر فى ٢٦ يونيه خصصه للسياسات الخارجية، هاجم دول سياسة كلينتون تجاه أوروبا، ووصفها بالتردد والضعف وعدم الحسم، شأنها شأن بقية مناطق العالم المهمة والحيوية، وفى لقاءات كثيرة أخرى انتقد القرار السلبى فى الصومال، والفشل الذريع فى البوسنة، وعدم الإنجاز لأى سلام حقيقى فى الشرق الأوسط.. إلخ، وأن هذا يرجع إلى سياسة كلينتون الخارجية التى تتسم بالضعف والازدواجية والتردد والافتقار إلى التكامل مما يسهم فى تقويض المصالح الأمريكية ويضر بمصداقية الولايات المتحدة. وعلى الجانب الآخر فإن كلينتون كان يتجاهل الرد على الانتقادات الموجهة له فى مجال السياسة الخارجية، إلا أنه قد وجد نفسه مضطرًا للرد إزاء تصاعد الهجوم وحملة النقد الواسعة والمخططة من جانب الجمهوريين. حيث خصص خطابًا للشئون الخارجية فى «ديترويت» فى ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م للرد وتوضيح قراراته، وأشار إلى رأيه فيما يتعلق بتوسيع عضوية حلف شمالى الأطلنطى بحلول عام ١٩٩٩م المواكب للذكرى الـ ٥٠ لتأسيس الحلف.. إلخ.

وقد اتضح حجم السياسة الخارجية وقضايا العلاقات الدولية فى المناظرتين اللتين عقدتا بين المرشحين «دول»، و«كلينتون» يومى ٧، ١٧ (أكتوبر). حيث استغرقت القضايا الخارجية حوالى نصف وقت المناظرة الأولى ودار فيها قضايا الدور الأمريكى الدولى بين الاستمرارية والانعزالية، وكذلك قضايا الشرق الأوسط، والعراق، والصومال، والبوسنة، وأيرلندا.

بينما المناظرة الثانية لم تشهد - برغم طول وقتها بالمقارنة بالأولى - أى إشارة لأى قضية خارجية باستثناء سؤال واحد فقط تعلق بالشرق الأوسط دار حول رد كلّ منهما فى حالة طلب الرئيس الفلسطينى عرفات لقوات أمريكية للوجود فى الضفة الغربية.

ومن ثم فقد تأكد من خلال المناظرتين وحجم الصراع بين المرشحين فى انتخابات

١٩٩٦م، المدى الكبير الذى ذهبت إليه درجة انحسار السياسة الخارجية فى خضم عملية التنافس على معركة الرئاسة الأمريكية، وهذا ما أكدته مجلة التايم الأمريكية فى عددها الأخير السابق على الانتخابات، ويبقى السؤال هنا: ماذا بعد أن نجح كلينتون؟ أو بلغة أخرى ماذا بعد أن استمر كلينتون لفترة ثانية فى حكم الولايات المتحدة الأمريكية؟ ما الخطوط العامة التى ستحكم حركته فى السياسة الخارجية تجاه المنطقة العربية ومشكلاتها المختلفة؟ هل ستستمر فى نفس الاتجاه الذى كان سائداً فى فترته الأولى؟ أم يمكن أن نلحظ تغييراً ما فى الفترة الثانية؟ وإذا كان هذا محتملاً فما الأسباب وتداعياتها؟ ويمكن تناول ذلك كما يلى:

أولاً ـ حدود حرية الحركة أمام كلينتون

فى ضوء الافتراض السابق الذى يعززه الواقع، وخصوصًا فى تجربتى ١٩٩٢م، ١٩٩٦م الانتخابيتين، حيث سادت القضايا الداخلية، وانحسرت القضايا الخارجية، فسيكون للرئيس الأمريكى عمومًا مهما كانت توجهاته حرية حركة أكبر فى مجال السياسة الخارجية بصفة عامة وبغض النظر عن منطقة دون أخرى. ويعزز من ذلك أيضًا عدد من النقاط هى:

١ ـ أن الرئيس كلينتون سيحكم فترة ثانية، ومن المعروف؛ أن أى رئيس أمريكى يكون فى الفترة الثانية أقل إذعانًا للضغوط، وأكثر ميلاً لأن يتخذ القرارات الكبيرة والتحولية بما يسهم فى دخوله سجل التاريخ الأمريكى لتذكره الأجيال باستمرار، ولذلك فإن كلينتون سيكون أكثر ميلاً للفعل فى المجال الخارجى والمبادرة بما يمكن أن يترك له أثرًا باقيًا فى سجله.

٢ ـ توافر قدرة لدى الرئيس كلينتون على اكتساب مهارات فى الحركة والخبرة فى السياسة الخارجية، لم تكن موجودة لديه من قبل. حيث كانت اهتماماته داخلية قبل ترشيح نفسه لمنصب الرئاسة بصفته حاكمًا لولاية أركانسو، وأن توافر هذه الخبرة لديه واكتسابه لهذه المهارات على مدار السنوات الأربع السابقة (طوال فترة حكمه الأولى) ربما تكون قد أعطته الفرصة لتكوين رؤية شبه متكاملة ـ إن لم تكن شاملة ـ عن الأوضاع العالمية وقضايا النظام الدولى والإقليمى. وهذا بدوره يسمح له بالحرية فى الحركة والمبادرة أيضًا فى المجال الخارجى.

٣ ـ عدم وجود خلافات كبيرة مع الكونجرس (النواب والشيوخ)، فى السياسات الخارجية، وإن وجدت، فهى خلافات هامشية ومحدودة، قد تتعلق بالميزانية والمعونات، وبإرسال الجنود الأمريكيين، وبعض الخلافات المحدودة فى الشرق الأوسط وبخاصة إسرائيل وضرورة المزيد من دعمها، وبالتالى فإن محدودية هذه الخلافات قد تؤدى بدورها إلى عدم وجود قيود على حركة الرئيس كلينتون فى مجال السياسة الخارجية، وتتيح له الفرصة لمزيد من حرية الحركة متى أراد أن يمارس ذلك.

٤ ـ أن القضايا الدولية التى تشغل عالم اليوم تدور حول محورين هما الاقتصاد وما يتعلق بالتجارة الدولية من ناحية، والناحية الأخرى هى الأمن ومقاومة الإرهاب وفرض السلام. وأن فرصة كلينتون للتفاعل مع هاتين القضيتين العالميتين وإحراز مكسب فيهما ستعطى له فرصة كبيرة فى تحقيق أهدافه كصانع سياسة متميز من ناحية، ومن ناحية أخرى سيستطيع أن يخدم أهدافه فى السياسة الداخلية بدرجة أكبر مما ستسهم فى تعزيز فرص المرشح الديمقراطى القادم، وهو هدف استراتيجى لا أعتقد أنه يغيب الآن عن مخططى الحزب الديمقراطى ولا عن صناع سياسة كلينتون نفسه.

ثانيًا ـ مجالات الحركة الخارجية فى المنطقة العربية

لا شك فى أن ما أثير فى خضم الحملة الانتخابية من جانب كلينتون إزاء المنطقة العربية تمحور حول قضيتين أساسيتين: **الأولى** هى قضية الشرق الأوسط والسلام بين العرب وإسرائيل، وقد كانت شغله الشاغل حتى عشية التصويت على كرسى الرئاسة فى الخامس من نوفمبر ١٩٩٦م. **والثانية** هى قضية العراق وكيفية التعامل مع النظام العراقى وجوانب هذه المشكلة، وهو ما ظهر فى المناظرة الأولى بين المرشحين يوم ٧ أكتوبر الماضى. وبالتالى لم يحدث أى تناول للقضايا الأخرى كقضية ليبيا والحصار المفروض عليها، أو قضية السودان، أو قضية إيران، أو قضايا الإرهاب أو التعاون الإقليمى وغير ذلك. فبالنسبة لمجال العمل فى قضية السلام فى الشرق الأوسط، أشار كلينتون فى مناظرته الأولى إلى «أنه لدينا سياسة ثابتة لدعم وسائدة السلام وأمن إسرائيل، وأن المفاوضات قد بدأت، وأن عملية السلام تتحرك، وأن كل القادة فى الشرق الأوسط لن يتوقفوا عن بذل الجهد لحل المشكلات بينهم، بمساندتنا. فالأساس عندنا: «وقف العنف، وبدء المحادثات، والالتزام بالمفاوضات» وعلى المستوى العملى

فإن الرئيس كلينتون كلف وزير الخارجية كريستوفر، ومساعده «روس»، وذلك لدفع المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين لإنجاز اتفاق حول «الخليل»، واستمر هذا الوضع حتى قبيل إجراء الانتخابات الأمريكية بساعات. وهو ما يعكس إصرار كلينتون على حيوية قضية الشرق الأوسط بالنسبة له كمجال حركة. فضلاً عن سبق دعوته لما سمى بقمة واشنطن دعى إليها «الرئيس الفلسطينى ورئيس وزراء إسرائيل وملك الأردن (حسين)»، بينما اعتذر الرئيس مبارك عنها فى أوائل أكتوبر ١٩٩٦م، وذلك فى إطار قوة الدفع لهذه القضية بغض النظر عما آلت إليه. وهذا يذكرنا بنفس الوضع فى عام ١٩٩٢م، حيث كانت قضية الشرق الأوسط لدى الرئيس السابق (بوش) ذات أهمية حتى آخر لحظة كمجال للحركة.

أما بالنسبة لقضية العراق، فإن كلينتون أشار إلى أن التصرف المناسب من الناحية الاستراتيجية كان هو أن نقلص قدرة صدام على تهديد جيرانه وقد فعلنا ذلك بتوسيع ما يسمى منطقة حظر الطيران وبزيادة الرقابة التى يقوم بها الحلفاء للمجال الجوى لتمتد من حدود الكويت إلى ضواحى بغداد، وكان هذا هو التصرف السليم الذى فعلناه. فضلاً عن أننا تعلمنا من التجربة أنه عندما نعطيه بوصة واحدة فسوف يأخذ لنفسه ميلاً كاملاً، وأن ما حدث هو أن بعض حلفائنا لم يؤيدوا ما فعلناه فى البداية، وأعتقد أن معظمهم يعتقدون الآن أننا فعلنا الشىء المناسب.

وهذا يشير إلى أن كلينتون كان يعتقد فى صحة ما فعله، لكن دون نكران، لرفض الحلفاء لما فعله، ولهذا تأثيره على قراراته فيما بعد عند التعامل مع هذه القضية.

ثالثا ـ احتمالات الحركة الخارجية فى المنطقة العربية

أمام الرئيس كلينتون عدد من القضايا المهمة فى المنطقة العربية، عليه أن يحسمها فى خلال فترة حكمه الثانية، وهى قضايا لها ملفات مفتوحة، لا أعتقد من البداية أن الفترة القادمة يمكن أن تنتهى بدون حسمها. ولننظر فى احتمالات مسار هذه القضايا من زاوية الفعل الأمريكى فى عهد الفترة الثانية لـ «كلينتون» وذلك على النحو التالى:

١ ـ قضية السلام فى الشرق الأوسط

من المتوقع استمرار منهج الرئيس كلينتون فى التعامل مع القضية، وذلك بالتوازن بين التشدد العربى من جانب، والتشدد الإسرائيلى فى عهد نتنياهو من جانب آخر.

وأن الإنجاز الشامل فى هذا الطريق قد يعتريه بعض العثرات ويستلزم بعض الوقت. لكن قد يمكن تشجيع الأطراف العربية على المزيد من الاندماج فى عملية السلام بمختلف جوانبها الأمنية والاقتصادية، وأن يتم ثمة إنجاز على الجانب الفلسطينى، ويمكن أن يتم البدء بالانسحاب الإسرائيلى من الخليل، مع دعم السلطة الوطنية الفلسطينية. وستستمر فترة الرئيس كلينتون الثانية فى الإنجاز التدريجى على مسار هذه القضية، ولا بأس من ممارسة بعض الضغوط غير المحسوسة على الطرف الإسرائيلى لإدخاله فى الاتفاقات مع الأطراف العربية مع مزيد من الدعم الأمنى والاقتصادى على غرار ما حدث فى مرحلة المصالحة مع مصر، ويمكن أن تستمر فترة التردد فى العلاقات بين أمريكا كلينتون وإسرائيل نتنياهو، حتى يعدل الأخير مساراته ويخفف تشدده، أو يرحل لتأتى حكومة العمل الأقل تشددًا والأكثر حماسة للسلام من الليكود.

٢ـ قضية العراق

من الممكن أن يتم تخفيف الحصار تدريجيًا بعد قبول الولايات المتحدة لاتفاق «النفط مقابل الغذاء»، وهو ما أكده الرئيس كلينتون فى مؤتمره الصحفى عقب نجاحه فى الانتخابات. ولكن الإصرار الأمريكى على إسقاط نظام صدام قد يكون أحد الأهداف الأساسية خلال المرحلة القادمة من ناحية، وقد يكون الوسيلة لإنهاء الحصار على العراق، والمبرر الذى يستطيع أن يخرج به كلينتون أمام الرأى العام لحل «المشكلة العراقية».

٣ـ قضية «ليبيا وأزمة لوكيربى»

فى ضوء التغييرات التى يمكن أن يشهدها فريق العمل للرئيس كلينتون فى الفترة الثانية، وفى ضوء تزايد الدور الأوروبى فى المنطقة، وبخاصة الدور الفرنسى المؤيد لحل القضية الليبية وإنهاء الأزمة، والذى يتلاقى مع الرغبة العربية ممثلة فى قرار مجلس جامعة الدول العربية بالحل الوسط للموضوع، فإنه من المتوقع أن تشهد هذه القضية انفراجة تدريجية وتغيرًا فى السياسة الخارجية الأمريكية إزاءها. وإن كنت أتوقع أن يرتبط ذلك بالانفراجة فى قضية الشرق الأوسط، خاصة وأن ليبيا من أشد المعارضين للمنهج السلامى مع إسرائيل، حيث إن المسألة تمثل منظومة متكاملة فى الإدراك الأمريكى.

٤ـ قضية السودان والحصار المفروض عليه

ليس من المتوقع، فرض المزيد من الحصار عليه فى ضوء توافر المعلومات عن رحيل أو هروب الأشخاص المتهمين بمحاولة الاشتراك فى اغتيال الرئيس مبارك إلى خارج السودان. فضلاً عن أن الولايات المتحدة فى إطار محاولاتها إحكام الخناق على الأنظمة المساندة لعمليات العنف، فإنه ليس من المتوقع أن تحسن من علاقتها مع النظام السودانى، بل ستستمر فى حالة توتر، وأن المسألة يمكن أن ترتبط شأنها شأن إيران فى ضوء منظومة المصالح الأمريكية الثابتة أو المتغيرة حسب الظروف ودوام الحال أو تغيره.

٥ـ قضايا التعاون الإقليمى والاقتصادى

من المؤكد أن الولايات المتحدة فى عهد كلينتون ستساند وتدعم هذا التعاون بكل ثقلها، بوصفه أحد الآليات لترسيخ عملية السلام فى المنطقة حاضراً ومستقبلاً. وأن هذا التعاون قد يرتبط بقضايا الأمن والسلام، ولذلك فإن الإنجاز على مسار السلام قد يسهم فى دعم هذا المحور. ولذلك فهما مرتبطان، وربما تمارس السياسة الأمريكية فى الفترة الثانية لـ «كلينتون» ضغوطها على إسرائيل وبعض الأطراف الشاردة من هذه الزاوية.

وختاماً

فإن المتوقع (إجمالاً) أن تشهد الفترة الثانية لعهد كلينتون، فى مجال السياسة الخارجية، حرية حركة أكبر ستنعكس بالتالى على المزيد من المبادرات، والتى ستتسم بالإيجابية، وسيظهر ذلك بشكل فعّال فى المنطقة العربية لما تتسم به من الحيوية والديناميكية. ولذا فإننى أميل إلى أن السياسة الأمريكية ستشهد بعضًا من التغيير تجاه المنطقة العربية، والمسألة رهن بالمزيد من التغيير فى حالة أن يشعر العرب أن إرادتهم قائمة وأن لهم فعالية فى التأثير على القرار الأمريكى إزاء المنطقة.

* * *

المبحث الرابع

اتجاهات إدارة «بوش الابن»

إزاء قضايا السلام والشرق الأوسط (*)

تُعَدّ منطقة «الشرق الأوسط» وهى الحزام الجغرافى الأوسع الذى يضم فى داخله «المنطقة العربية»، وبالتالى الصراع العربى الإسرائيلى الذى يمثل منطقة «التماس» بين الدائرتين العربية، والشرق أوسطية، من المناطق الحيوية لدى أى إدارة أمريكية سواء أكانت «ديمقراطية» كما كان سائدًا فى عهد كلينتون على مدار ثمانية أعوام، أو كانت «جمهورية» كما سيصبح الأمر مع الرئيس الجديد «بوش الابن». ولا نبالغ إذا قلنا إن الأمن القومى الأمريكى بمعناه الواسع يتجاوز الحدود الجغرافية ليقفز إلى «الشرق الأوسط» الذى يعدّ بما يمتلكه من موارد حياتية فى مقدمتها «البترول العربى» على وجه الخصوص، جزءًا لا يتجزأ من الركائز الرئيسية لهذا الأمن. ومن ثم فإن «الاستقرار» على أى نحو، فى هذه المنطقة يأتى كهدف استراتيجى حيوى للإدارة الأمريكية الحاكمة.

وعلى الرغم من هذه الأهمية «السيواستراتيجية» للشرق الأوسط لدى الإدراك الأمريكى، فإنه بكل أسف ليس ورقة انتخابية تهم الناخب الأمريكى من ناحية، ومن ثم فهى ليست واردة ضمن البرامج الانتخابية للمتنافسين على رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أفصحت المناظرات الثلاث بين المرشحين «آل جور، بوش»، عن غياب تام للشرق الأوسط فى سياق تعليقاتهما، ولكن أشير إلى دعم إسرائيل وضمان أمنها، كما أشير إلى العراق وايران بوصفهما دولتين معاديتين للدولة الأمريكية.

(*) نشرت بمجلة «أوراق الشرق الأوسط» الصادرة عن المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، عدد ٢٦ يناير ٢٠٠١م.

واختلف المرشحان حول سبل التعامل معهما بما يتفق والمصلحة الأمريكية واستقرار هذه المنطقة لأهميتها الحيوية للولايات المتحدة كما سبقت الإشارة. وقد أكدت البرامج المنشورة عن كل من المرشحين (جور، بوش)، ما أشارا إليه فى مناظراتهما.

ويتساءل كثيرون عن «محدودية» إن لم يكن «انعدام» وجود «الشرق الأوسط» وقضاياه، ضمن المنافسة الانتخابية. والواقع يشير إلى أن الناخب الأمريكى عمومًا لا يهتم كثيرًا خلال الحملة الانتخابية بقضايا السياسة الخارجية برغم أن القرارات الخارجية لها عمق وتأثير بالغ الأهمية على السياسات الداخلية لدولته، بوصفها على الأقل دولة كبرى، فضلاً عن التكلفة الاقتصادية لمثل هذه القرارات والتى يشارك فى تحملها المواطن الأمريكى. إلا أنه على الجانب الآخر، فإننا نرى أن جماعات الضغط العربية والإسلامية ليست على «المستوى الندى» لجماعات الضغط اليهودية والصهيونية داخل الولايات المتحدة، مما يجعل «الشرق الأوسط» قرين إسرائيل أكثر من أى طرف آخر حتى ولو كان «العرب» منتجو البترول هم وقود حياة الأمريكيين، فالوزن المحدود للطرف المنافس لإسرائيل، والتكلفة المحدودة لهذا الوزن على صانع القرار الأمريكى، يجعل الإدارة الأمريكية أقل اهتمامًا، مع انحسار هذا الاهتمام وتركيزه على الطرف الأقوى والأكثر وزنًا والذى ينبع تأثيره فى مجريات الأمور الداخلية للولايات المتحدة.

* وعلى الرغم من محدودية «الاهتمام الانتخابى» بالشرق الأوسط، فإن الإدارة الأمريكية - أيًا كانت - لا تجد مفرًا من الاهتمام الفعلى والواقعى لهذا الكيان الحيوى. ولكن درجة الاهتمام تتوقف على عوامل كثيرة مما يجعلها ضمن الأولويات من عدمه.

* وبعد معركة عنيفة اتسمت بالتكافؤ والشراسة والسجال القانونى الطويل بين الديمقراطيين والجمهوريين، استطاع «بوش الابن» الجمهورى أن ينتزع مقعد الرئاسة بفارق ضئيل - (٤) مقاعد من المجمع الانتخابى فقط، برغم أن منافسه «آل جور» حصل على غالبية أصوات الناخبين بزيادة نحو مليون ونصف صوت عن بوش الابن. وهى ظاهرة قلما تحدث فى تاريخ المنافسات الانتخابية على مقعد الرئاسة. وبانتصار «بوش الابن»، يثور التساؤل: ماذا فى جعبته نحو «الشرق الأوسط»؟ وما التوقعات المرتقبة لهذه الإدارة الأمريكية الجديدة؟

* لا شك فى أن الاجابة عن هذا التساؤل تواجه صعوبات كبيرة، ولكن التحليل السياسى من واقع الحملة الانتخابية وما ظهر فيها من تصريحات، وتحالفات، ومن واقع تشكيل فريق العمل فى الإدارة الأمريكية الجديدة، فضلاً عن ظروف موضوعية معينة، قد يقود إلى إمكانية التوصل إلى رؤية ما يمكن أن يكون فى الأفق.

ويمكن تناول هذه العوامل بشىء من التفصيل على النحو التالى:

أولا - مقدمات الحملة الانتخابية (المرحلة التمهيدية)

من الثابت فى الإدراك الأمريكى بغض النظر عن التوجه الحزبى سواء فى الحكم أم فى المعارضة والانتظار للانتخابات التالية، أن إسرائيل دولة مصونة وتحت الرعاية الأمريكية المطلقة، وأن أمنها مسئولية كبرى والتزام كامل من الإدارة الأمريكية الحاكمة. وقد يحدث فى الواقع العملى اختلافات فى التكتيك والتفاصيل، بما يضمن تحقيق هذا الهدف ومساندته. وقد «تشاغب» إسرائيل من أجل المزيد من الضمانات والحماية لأمنها وتخفى وراء ذلك سياستها التوسعية وعدوانيتها الدائمة، إلا أن الإدارة الأمريكية قد تتدخل للحد من تلك المخاوف بالإغداق عليها بمزيد من الدعم المالى والعسكرى والاتفاقيات الاستراتيجية طويلة الأمد وقصيرة الأمد وغيرها!!، فى ذات الوقت الذى تسعى فيه الإدارة الأمريكية لاستيعاب أى غضب عربى، والهدف هو «الاحتواء وضبط سلوك الأطراف كافة»، تحقيقًا للهدف الأمريكى الثابت أيضًا وهو «الاستقرار» فى هذه المنطقة.

ومن ثم فإن المتابعة للحملة الانتخابية والتنافس بين آل جور الديمقراطى، وبوش الابن الجمهورى، لم تخرج عن مثل هذه الالتزامات. ومع اشتعال الانتفاضة الفلسطينية فى أثناء الحملة الانتخابية طالب المرشحان معًا بضرورة وقف «العنف الفلسطينى»، والإعلان عن ضمان أمن إسرائيل[1]. فضلاً عن أن ما ورد فى المناظرات الثلاث بين المرشحين حيث لم تتم الإشارة إلى إسرائيل والصراع العربى الإسرائيلى، يأتى تأكيدًا على أن المسألة ليست محل خلاف بينهما، وإلا لكانت هناك أسئلة فى هذه المناظرات، حول هذا الأمر.

(١) جريدة الحياة، ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٠م.

وقد استراح «اللوبى الصهيونى» داخل الولايات المتحدة، لاختيار «آل جور»، لنائب يهودى هو «ليبرمان» كنائب له فى الانتخابات الأخيرة. فى الوقت الذى استطاعوا فيه «تأميم» أو «احتواء» المرشح الجمهورى «بوش» حيث ضمنوا عدم إظهار أى موقف عدوانى ضد إسرائيل، وهو ما نجح «بوش» فيه لعدم استعداء هذا اللوبى ضده[١].

* على الجانب الآخر، فإن «بوش» حاول تجاوز هذا الحصار الصهيونى، نظراً لتوقعه أن عدد الذين سيصوتون لصالحه لن يتجاوز ١٨٪ على غرار ما حدث له مع والده «چورچ بوش» عند انتخابه رئيسًا للمرة الثانية فى عام ١٩٩٢م[٢]، فضلاً عن ذلك إدراكه لحجم الدعم الأمريكى لإسرائيل خلال فترة حكم «كلينتون»، وهو ما يجعل اليهود فى الولايات المتحدة (٦ ملايين) وبتنسيق إسرائيلى، يقومون بالتصويت لصالح «آل جور» ونائبه اليهودى «ليبرمان» بوصفهما أكثر ضمانًا لمستقبل أفضل لإسرائيل، مقارنة ببوش الابن، الذى يأتى فى جلباب «أبيه» الذى سبق له ممارسة ضغوط على إسرائيل عام ١٩٩١م بسبب المستوطنات والتردد فى عملية السلام. وكان الرئيس بوش هو الرئيس الأمريكى الذى استطاع أن يقول «لا» لإسرائيل، على حد وصف بعض التحليلات الاستراتيچية آنذاك[٣].

ولتجاوز هذا الحصار الصهيونى اتجه «بوش» إلى التحالفات السياسية مع الأقليات الأخرى بما يضمن تصويت أكبر نسبة منها لصالحه لانتزاع الرئاسة من الحزب الديمقراطى. ومن أهم هذه الأقليات، الأقلية العربية والإسلامية والتى يبلغ حجمها أكثر من (٦) ملايين مواطن أمريكى عربى. واستطاع أن ينجح فى اجتذاب هذه الأقلية، لدرجة أن كلمة الافتتاح فى المؤتمر القومى للحزب الجمهورى الذى انعقد فى يوليو ٢٠٠٠، كانت كلمة الأقلية الإسلامية وزعيمها ذات أصول عربية. بالإضافة إلى أن ترشيح «رالف نادر» وهو من الزعامات العربية، للرئاسة الأمريكية بزعامته لحزب الخضر، كان خصمًا من رصيد الديمقراطية الذين كانوا يكسبون تأييد الأقليات عمومًا. وهذا يعنى أن ترشيح «نادر» كان لصالح «بوش». ومما عزز من وضع «اللوبى العربى»

---

(١) جريدة الحياة اللندنية، ٣١/ ١٠ / ٢٠٠٠م، نقلا عن تحليل للوكالة الفرنسية.

(٢) الأهرام، ٣١/ ١٠ / ٢٠٠٠م.

(3) Strategic Survey 1991 - 1992, London, 1992, pp. 35 - 38.

أن عدد الناخبين الأمريكيين من أصول عربية فى جميع أنحاء الولايات المتحدة خلال انتخابات عام ٢٠٠٠، بلغ نحو ١,٥ مليون مواطن. وفى الوقت الذى كان هؤلاء يصوتون شأنهم شأن كل الأقليات للحزب الديمقراطى، فإنهم هذه المرة (عام ٢٠٠٠)، اتجهوا لتأييد «بوش» علانية بسبب اختيار «آل جور» لنائب يهودى (ليبرلمان)، وبسبب موقفه الرافض لقانون الأدلة السرية الذى يدعمه آل جور[١]. وهكذا تحول «الأمريكيون العرب» إلى قوة انتخابية مؤثرة على الساحة السياسية الأمريكية. وهو ما سيؤخذ فى الحسبان فقط خلال حكم إدارة «بوش» بلا شك.

ثانيًا- اتجاهات فريق الإدارة الأمريكية الجديد تحت رئاسة «بوش» (المرحلة الانتقالية)

لا شك فى أن أحد أهم المؤشرات الأساسية لتحليل توجهات الإدارة الجديدة، هو تكوين فريق الإدارة الأمريكية المعاون للرئيس المنتخب. حيث يكشف هذا الفريق عن التوجهات المتوقعة فى المستقبل استنادًا إلى مرحلة الحملة الانتخابية قبل الفوز، وتأكيدًا لطبيعة التحالفات والسياسات التى تم إعدادها مقدمًا سعيًا للفوز، وبداية للعمل. والملاحظ أنه بانتهاء تشكيل الرئيس المنتخب «بوش» لفريق إدارته الجديد خلال تلك المرحلة الانتقالية بين إعلان فوزه، وبين توليه الرئاسة الرسمية فى ٢٠ يناير ٢٠٠١م، يمكن استخلاص نتيجة مهمة. وهذه النتيجة هى أن فريق إدارة «بوش» لم يتضمن شخصًا واحدًا من أصول يهودية، على عكس ما كان سائدًا فى إدارة كلينتون خلال ثمانية أعوام. فى الوقت ذاته فإن هذا الفريق ضم وزيرًا من أصول عربية لبنانية (سبنسر أبراهام- ٤٨ عامًا)، لتولى وزارة الطاقة[٢]. وهو حدث مفاجئ للوبى الصهيونى، فضلاً عن أن فريق العمل الجديد لـ «بوش»، مكون من شخصيات غير معروفة بتأييدها المطلق لإسرائيل، أو أن لها مواقف معينة سابقة تجاهها، مما ينبئ بلا شك عن مخاوف لإسرائيل، واللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة، وتوجسات لا حصر لها إزاء سلوك الإدارة الجديدة تجاه إسرائيل.

---

(١) الأهرام، ٧/ ١١/ ٢٠٠٠م.

(٢) جريدة الحياة، ٤ يناير ٢٠٠١م.

كما يشير تكوين فريق الإدارة الجديدة عن اهتمامات الرئيس الأمريكى «بوش»، حيث أتى بعدد من هؤلاء من أصول أمريكا اللاتينية وأفريقيا وأصول إسپانية، وأصول آسيوية، وهو ما ينبئ عن تقديره للأقليات بصفة عامة حتى يضمن ولاءها فى الانتخابات القادمة من ناحية، ولكى يتمكن من استثمار هؤلاء عند مواجهة اللوبى الصهيونى إذا لزم الأمر، من ناحية أخرى. فضلاً عن أن سياساته القادمة ستتجه نحو الاهتمام بأمريكا اللاتينية وأفريقيا واليابان والمنطقة العربية وبخاصة منطقة الخليج وبترولها. ويشير الواقع المصاحب للحملة الانتخابية وحتى الآن، إلى أن ترشيح «آل جور»، لنائب يهودى له، مما أثار تعاطف الأقليات اليهودية واللوبى الصهيونى مع آل جور ونائبه اليهودى، فى مواجهة بوش. فضلاً عن أزمة الانتخابات التى استمرت (٣٦) يومًا والتى تم التشكيك فى إجراءات التصويت لصالح بوش، كان وراءها اللوبى الصهيونى سعيًا نحو ضمان فوز «آل جور» ونائبه اليهودى لأول مرة فى التاريخ الأمريكى، وضمانًا لعدم فوز بوش لعدم الوثوق فيه بعد تأييدهم العلنى لـ «آل جور»، وفى ضوء الخبرة التاريخية السابقة عن والده بوش (١٩٨٨ ـ ١٩٩٢م)، التى أشرنا إليها من قبل.

وحتى هذه اللحظة لم يفصح فريق الإدارة الجديدة عن اهتمامات قادمة بأحداث الشرق الأوسط باستثناء العراق وإيران كما ورد على لسان «كولن پاول» وزير الخارجية الجديد[1].

ثالثًا ـ الظروف الموضوعية المصاحبة لتولى الإدارة الجديدة

يتركز تأثير الظروف الموضوعية على الإدارة الجديدة، من حيث أولوية الأجندة أو جدول الأعمال المحدد لهذه الإدارة. فقد تؤدى بعض الظروف دورًا فى إعادة صياغة هذه الأجندة بإعطاء بعض الموضوعات أولوية غير مسبوقة ـ والملاحظ أن هناك ثلاثة ظروف موضوعية تفرض على الإدارة الأمريكية الجديدة ألا تتجاهلها عند التعامل مع منطقة الشرق الأوسط، بل إن معطيات هذه الظروف قد تفرض أولوية معينة لا تستطيع معها الإدارة الجديدة تفاديها. وهذه الظروف هى:

---

(١) واشنطن پوست الأمريكية فى ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٠م، نقلاً عن الأهرام.

١ ـ استمرار «الانتفاضة الفلسطينية» فى الأراضى العربية المحتلة، بما يعنى استمرار العنف على الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى، مع تزايد النداءات المتكررة لسرعة التدخل الأمريكى لحسم عملية السلام، أو إعطاء شركاء آخرين دوراً مؤثراً بموافقة أمريكية صريحة، وبخاصة الطرف الأوروبى.

٢ ـ إصرار الإدارة الأمريكية الحالية بزعامة كلينتون، على محاولة التوصل إلى وجود اتفاق الطرفين الإسرائيلى والفلسطينى على إطار مبادئ للاتفاق النهائى بينهما. وبغض النظر عن إمكانية تحقيق ذلك من عدمه، فإن الفائدة من وراء هذا الإصرار قد تنعكس على إعطاء الإدارة الأمريكية أولوية لعملية السلام، تجنباً لضغوط ديمقراطية فى الداخل، وضغوط يهودية محتملة.

٣ ـ الانتخابات الإسرائيلية المحدد لها الأسبوع الأول من فبراير القادم، تستلزم متابعة جادة واهتماماً واضحاً من جانب الإدارة الأمريكية الجديدة، لمحاولة التأثير على هذه الانتخابات لكى يأتى رئيس وزراء لإسرائيل أكثر قدرة وتعاوناً بما يخدم تحقيق السلام والاستقرار.

* وفى ظل هذه المعطيات الواقعية، فإن الإدارة الأمريكية الجديدة لن تتمكن من تأجيل التعامل مع القضية المزمنة فى الشرق الأوسط وهى الصراع العربى الإسرائيلى.

* * *

* وعلى أى حال فإنه من الواضح فى ظل التحليل السابق، من حيث التحالف الجمهورى خلال فترة الانتخابات مع الأقلية العربية والإسلامية، والعداء اليهودى العلنى لـ «بوش»، وتأييد اللوبى الصهيونى لآل جور ونائبه فضلاً عن إثارتهم لأزمة الانتخابات فيما بعد النجاح الأول لـ «بوش»، ومن حيث ما كشفت عنه الإدارة الأمريكية عند تكوينها لفريق العمل الجديد والذى لم يضم أى شخص يهودى ـ كما كان حادثاً فى الإدارة الديمقراطية ـ ولم يضم أى شخص ذى اهتمام سابق بإسرائيل أو تأييدها، فضلاً عن تعيين «بوش» لوزير من أصول عربية لأول مرة. وفى ظل الظروف الموضوعية التى أشرنا إليها، يمكن القول بأن المسرح مهيأ لدى الإدارة الأمريكية الجديدة للتعامل مع القضايا العربية وقضايا الشرق أوسطية عموماً، بدرجة من التعاطف مع الموقف العربى. وأن اهتماماً واضحاً وملموساً يمكن أن تقوم به الإدارة الأمريكية

الجديدة. ولكن كما نعلم فى السياسة، فإنه لا يمكن لهذه الإدارة الجديدة أن تهتم دون أن يكون الطرف الأصيل مهتمًا وضاغطًا. فلو اكتفى العرب بهذا التعاطف الأمريكى القادم دون فعل عربى مؤثر وقوى، فإن هذا التعاطف سيذهب ويختفى.

بل إن اللوبى الصهيونى يجيد فن التعامل مع هذه المواقف ويمكنه استثمارها ضد الإدارة الأمريكية الجديدة بإرهابها سعيًا نحو تطويعها للحساب الصهيونى باستمرار.

فاستمرار الانتفاضة الفلسطينية ودعمها بكافة السبل، والتهديد بإمكانية اتخاذ خطوات فعلية فى هذا الإطار سيعطى للإدارة الأمريكية الجديدة المبررات القوية لتجسيد تعاطفها مع القضايا العربية إلى واقع حى فى ممارسة ضغوط أمريكية فعلية على إسرائيل فى الاتجاه نحو سلام عادل ودائم، وحل المسألة العراقية وغيرها، وهو ما يمكن أن يخلق استقراراً دائمًا فى المنطقة يتفق ومقتضيات الأمن القومى الأمريكى.

***

قائمة بمؤلفات الكاتب ـ طبقا لسنة النشر

١ ـ السياسة الخارجية لمصر ٧٠ ـ ١٩٨١م، مدبولى للنشر، ١٩٨٧م.

٢ ـ توازن القوى بين العرب وإسرائيل بين حربى يونيه ١٩٦٧م، وأكتوبر ١٩٧٣م، مدبولى للنشر، ١٩٨٩م.

٣ ـ أزمة البحث العلمى فى مصر والعالم الثالث، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

٤ ـ من يحكم مصر؟ دراسة فى عملية صنع القرار السياسى فى مصر والعالم الثالث، الطوبجى للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

٥ ـ النظام الدولى والإقليمى بين الاستمرارية والتغيير، المحروسة للنشر، ١٩٩٦م.

٦ ـ العمل العربى الوحدوى وصراع البقاء فى نهاية القرن العشرين، المحروسة للنشر، ١٩٩٧م.

٧ ـ أمن الخليج: محددات وأنماط تأثير العامل الدولى، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ورأس الخيمة بالإمارات، ١٩٩٨م.

٨ ـ تحديات الجمهورية الثالثة: الحوار والتغيير، المحروسة للنشر، ١٩٩٩م.

٩ ـ تحديات الممارسة الديمقراطية: القيود والآفاق، المحروسة للنشر، ٢٠٠٠م.

١٠ ـ ميلاد نظام عالمى جديد (مترجم)، الدار الأكاديمية للنشر، ٢٠٠٠م.

١١ ـ النظام الدولى بين الاستمرارية والتغيير: دراسة فى مشكلات معاصرة، (طبعة مطورة)، المحروسة للنشر، ٢٠٠١م.

١٢ ـ أزمات النظام العربى وآليات المواجهة، دار الشروق، ٢٠٠١م.

١٣ ـ ديناميكية السياسة الخارجية والدور المصرى فى ظل التحولات الجديدة، المحروسة للنشر، ٢٠٠٥م.

١٤ ـ الأصول الديمقراطية والإصلاح السياسى، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥م.

١٥ ـ ثقافة المقاومة والتحرير فى إدارة الصراع العربى الصهيونى، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥م.

قائمة بالكتب المؤلفة بالاشتراك مع آخرين:

١ ـ المؤتمر الدولى التاسع للبحوث الاجتماعية، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢ ـ النظام السياسى المصرى بين الاستمرارية والتغيير، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م.

٣ ـ أبحاث المؤتمر السنوى باتحاد المحامين العرب، مركز البحوث والدراسات القانونية، دمشق، ١٩٨٩م.

٤ ـ زلزال الخليج من الغزو العراقى إلى المجهول، كتاب الأهرام الاقتصادى، ١٩٩٠م.

٥ ـ سياسة مصر الخارجية فى عالم متغير، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.

٦ ـ البحث الإمبريقى فى الدراسات السياسية، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

٧ ـ حتى لا تنشب حرب عربية/ عربية أخرى، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م.

٨ ـ انتخابات مجلس الشعب ١٩٩٠م: دراسة تحليلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٩٢م.

٩ ـ النظام العالمى الجديد، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

١٠ ـ الدور الإقليمى لمصر فى الشرق الأوسط، مركز البحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.

١١ ـ تحليل الانتخابات المحلية/ ١٩٩٧م، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.

١٢ ـ الحركات الإسلامية فى آسيا، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

١٣ ـ العرب ونظام عالمى جديد، الجمعية العربية للعلوم السياسية، ومركز دراسات الدول النامية، بجامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

١٤ ـ القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

١٥ ـ اتجاهات حديثة فى علم السياسة، اللجنة العلمية للعلوم السياسية والإدارة العامة، المجلس الأعلى للجامعات، ١٩٩٩م.
١٦ ـ العلاقات المصرية الآسيوية، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٧ ـ مستقبل مدينة بورسعيد فى ظل المتغيرات الدولية، إعداد وتحرير د. جمال زهران، جامعة قناة السويس ومحافظة بورسعيد، أعمال المؤتمر العلمى الثانى، ٢٠٠٠م.
18- Civilization and Modernization In the Middle East, Korea Foundation And Hankul university of Foreign Studies, 2002.
١٩ ـ الدولة الوطنية والتحولات الدولية الراهنة، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، (أعمال الملتقى الدولى الأول للكلية)، ٢٠٠٤م.
٢٠ ـ السياسة الخارجية لليابان، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

***

obeikan.com

obeikan.com

المؤلف فى سطور

دكتور جمال على زهران

- أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية - كلية التجارة ببورسعيد - جامعة قناة السويس.
- وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث.
- وكيل الكلية لشئون البيئة وخدمة المجتمع.. ومدير مركز البحوث والدراسات المستقبلية بالكلية.
- أستاذ زائر بجامعتى چورچ ماسون وميريلاند وچون هوبكنز - واشنطن عامى ١٩٩٦، و١٩٩٩م.
- عضو اللجنة التنفيذية العليا للجمعية العربية للعلوم السياسية للمرة الثانية (٢٠٠٤ - ٢٠٠٧م).
- عضو الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية بواشنطن منذ عام ١٩٩٦م.
- عضو الجمعية الدولية لدراسات المستقبل بواشنطن منذ عام ١٩٩٦م.
- عضو الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع - القاهرة.
- عضو اتحاد كتّاب مصر - القاهرة.
- عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية - القاهرة.
- أمين عام شعبة العلوم السياسية بنقابة التجاريين - بالقاهرة.
- رئيس منتدى القليوبية الثقافى والاجتماعى المشهر عام ٢٠٠٤م.
- دكتوراه العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٨٨م.
- ماچستير العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٨٣م.
- بكالوريوس العلوم السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٧٧م.
- للمؤلف (١٣) كتابا فى الفترة من ١٩٨٧ - ٢٠٠٤م.
- شارك المؤلف فى (٢٠) كتابًا بالاشتراك مع آخرين (٨٨ - ٢٠٠٤م).

obeikan.com

- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٥م، عن كتاب «من يحكم مصر؟ دراسة فى عملية صنع القرار السياسى فى مصر والعالم الثالث».
- حاصل على وسام الامتياز كمعلم مثالى على مستوى الجامعات المصرية فى عيد المعلم (ديسمبر ٢٠٠٤م) الذى تنظمه نقابة المهن التعليمية.
- حاصل على جائزة مؤسسة الأهرام (نادى الكتاب) لعام ٢٠٠٣م، عن كتاب: «أزمات النظام العربى وآليات المواجهة»، دار الشروق، ٢٠٠١م.
- شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية: الدولية والعربية.
- أستاذ زائر بأكاديمية ناصر العسكرية.
- خبير ومحاضر لدى العديد من مراكز البحث فى مصر والوطن العربى.
- كاتب سياسى دائم بجريدة الأهرام وجرائد أخرى فى مصر والوطن العربى.
- تحت الطبع (٥) كتب جديدة.

***

obeikan.com

رقم الإيداع ٩١٣٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى I.S.B.N - 977-09-1272-7

obeikan.com